

- ٢٣٥٥ -

القسم الثاني

استرداد الأرض المقدسة
القسم الثاني

١١٠ : أرسلت الوثيقة المتقدمة إلى السيد ملك إنكلترا، مع رسائل مختومة، تلفت انتباهه باختصار إلى فوائدها في المسائل الروحية، وتحثه على أن يقوم بفحصها باهتمام وبسرية، من قبل رجال حكماة ومخلصين له وللرب، ويمكن أن يكونوا من المبشرين أو من القلة «Minorites»، ومن الممكن حذف كل ما ينبغي حذفه أو إسقاطه، وأن يضاف كل ما يبدو موافقاً إلى جلالته الملكية المجربة والحكيمة، وإلى مستشاريه العقلاء، الذين بعقلانية سيطلب منهم — بفضل من الرب — وسيعهد إليهم بمهمة الفحص، والتصحيح، والتقويم، وعليه بعد هذا أن يقوم من دون تأخير بتحويل هذا المشروع، مع مشورة كاملة من قبل سفراء مخلصين، وعقلاء، ومجربين إلى السيد البابا، وأن يكون هؤلاء السفراء سريين، والغاية من هذا الإرسال أن يستفيد منه المجمع الذي سوف يعقد وفق طريقة جرى شرحها بما يكفي في الوثيقة المتقدمة.

١١١ [70] : لدى الكاتب موهبة ربانية طبيعية بالميل نحو سرعة الخاطر، التي هي — تبعاً للفيلسوف — البراعة في إيجاد المصطلحات الوسيطة، أي أسباب الأشياء التي ما زلنا نراها عقلياً فقط، ولسوف يذكر فقط وبشكل محدد المنافع التي ينبغي أن تحصل من الاقتراحات المتقدمة الذكر، وترتبط بالمشجعين الرئيسيين لها، وأعني بذلك أصحاب السيادة: البابا، والملك الفرنسي، وأخوانه وأولاده، وملكي صقلية وألمانيا، وفرديناند صاحب إسبانيا وأخيه [ألفونسو].

وعندما تنتهي الحروب بالوسائل المقترحة هنا، وعندما من جهة أخرى يعهد — مقابل عطاء سنوي مضمون — بحكومة البابا، وبممتلكاته، وبما يشغله بالأمور الدنيوية، بشكل دائم إلى السيد ملك فرنسا، لتدار من قبل أخوانه وأولاده حسبما يراه مناسباً، وعندما تتوقف المؤامرات المؤذية للرومان واللومبارد، وقتها من الممكن جداً، أن يكون السيد البابا قادراً على أن يتمتع بحياة سليمة طويلة في موطنه الأصيل،

الذي هو مملكة فرنسا، وأن يمتلك الوقت الكافي ليكرس انتباهه إلى حكم الأرواح فقط، ويتجنب بهذا أجواء روما العاصفة، التي لم يعتد عليها منذ ولادته، وسوف يكون في هذا منفعة لا يمكن تقديرها، وهي دائمة، إلى جميع أصدقاء السيد البابا، وجيرانه وأقربائه، وبشكل خاص إلى مملكة فرنسا كلها، بما أن رجال الدين الطليان لن ينالوا دخل المصالح الغنية العائدة إلى الكنائس الفرنسية والألمانية — حسبما كانوا في الماضي — من أجل بناء قلاع لأنفسهم ولأقربائهم، بسلب الكنائس حتى على حساب القداست الربانية، كما أنهم لن يتابعوا الاشراف على هذه المصالح الغنية، التي لن يستحوذ عليها بعد الآن رجال الكنيسة الكبار، عوضاً عن الفرنسيين، حسبما كانت العادة من قبل بسبب دهاء الطليان وبراعتهم الطبيعية، وهؤلاء الطليان راغبون في تشاخصهم أن يدوسوا على إنسانية الفرنسيين، ولقد حاولوا أن يقوموا بما لم يسمع به قط من قبل، والادعاء بالحق الدنيوي لحكم المملكة الفرنسية، ولحكم أميرها الأعلى، يريدون من وراء ذلك تعريض هذه المملكة التي تعيش في سلام وفي وئام إلى فتنة دائمة، وعصيان مستمر، ولحسن الحظ خمدت العاصفة التي ثارت مع هذه التطلعات، لأن ملك السلام منح وفاقاً عظيماً، وأخذ هذه الخلافات.

وبما أن البابا الروماني قد أساء استخدام سلطاته، وفعل ذلك بسبب الرومان، إنه لمن الأفضل والأصح، وبما يتوافق كذلك ويتماشى مع رغبات ومراسيم الآباء المقدسين، أن يقوم الرومان في سبيل حفظ المجد البابوي وزيادته بالسماح — ولو مكرهين — بأن يجري التمتع بهذا الشرف العظيم بشكل دائم من قبل أفراد لن يكونوا راغبين بالسرقه، على حساب الفخار الأساسي لأعظم الأمراء المسيحيين، الذي لن يتجاوز الحدود التي أرساها الآباء المقدسون، والذي سوف يسمح لأي قيصر أن يحكم في مملكته، ولأن يدير ممتلكاته وأن يتمتع بها، وقد علمنا

مخلصنا هذا وقال بوجوب فعله، حسبما جاء ذلك موثقاً في الانجيل، فهو قد قام حتى يتجنب الخلاف، بتوجيه بطرس لدفع الضريبة المستحقة عنه شخصياً وعن بطرس، وقد أخبر بطرس بالمثال التالي ليبقى إلى خلفائه حيث قال: «أعطوا لقيصر الأشياء التي لقيصر، وللرب الأشياء التي للرب» (متى : ٢٢ / ٢١)، وعندما قام بغسل أقدام حواريه قال: «لأنني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (يو حنا : ١٣ / ١٥).

وبسبب انفعالات ما قد طرح، قد يواجه كاتب هذه الكلمات معارضة، وقد توقع هذا عندما تعرض لهذه المسائل في كتابه «حجج لا تدحض»، الذي كتبه في باريس في يوم السبت الذي تقدم على يوم الأحد الذي شهد نشر مرسوم البابا الظالم [Ausculta Fili]، وأرسل في اليوم نفسه إلى صديقه [رتشارد لينيفو] الذي هو الآن أسقف بيزير Bezier [في ذلك الكتاب المذكور] يقول بأن القاضي الأعلى، الخفية قراراته، قد قضى بوسائل مشاحنات الرومان، أن يسند منصب الخبر الأعظم إلى رجل يمثل هذه الأخلاق العالية، حتى يتم من خلاله سحب هذه السلطة التي توجب سحبها منذ زمن طويل من أشخاص أشرار بسبب ذنوبهم وطغيانهم، وأن يبقى مع آخرين ليسوا متشوقين لسرقة حريات الآخرين وانتزاعها، وبعد هذا عليهم أن يدركوا أن السلطة التي منحت على الأرض إلى بطرس أمير الرسل، قد سحبت بهذه الطريقة منهم بسبب ذنوبهم البغيضة، لأن الملك شاول عندما جاء تعيينه بأمر الرب، ومسح ملكاً، لم يصغ إلى الرب، ولم يأخذ بأوامره، بل استخدم منطق، عوضاً عن منطق الرب، أو منطق الكتابات المقدسة، فكان أن تلقى أمراً خاصاً من الرب بفقدانه مملكته.

ويصدر الرب الآن مثل هذه الأوامر من خلال الكتابات المقدسة، ومن خلال تفاسيرها، ففيهم، وبوساطتهم ينبغي أن ننشد الأسباب

المعقولة والممكنة لجميع المحصلات التي ينبغي أن نراعيها، ويتماشى هذا مع ما قاله الرسول: «لأن كل ماسبق فكتب كتب لأجل تعليمنا» [روما : ١٥ / ٤]، فلماذا غالباً ما نقرأ في الكتابات المقدسة نصوصاً تبين كم هي عظيمة ومتنوعة الشرور التي وقعت بسبب مختلف الذنوب، وإذا لم نخف من أمثلة مثل هذه الأحداث، من اقتراح ذنوب فإن الشرور، لا بل الأسوأ منها، سوف يتبع؟، لأنه كما قال الفيلسوف: «إذا كنا جميعاً عادلين (أي بمعنى الشعور الداخلي بالعدل) سوف لن نحتاج إلى العدل (أي بمعنى العدل الخارجي)»، وبسبب الذين لم يمنعمهم الخوف من الرب ولا حبه من الشر، والذين لم يرغمهم على الابتعاد عن الشر، العصا الفولاذية مطلوبة لهم أحياناً، وهي التي بعث بها الرب — حسبما جاء في كلماته: «أنت سوف تحكمهم بقضيب من حديد» [المزامير : ٢ / ٩]، والذين لا يصغون إلى أسباب مثل هذه القضبان، هم يشبهون فرعون بقسوة قلبه، ولهذا سوف يعاقبون دنيوياً، وفي النهاية أبدياً، وذلك إذا لم يثوبوا إلى رشدهم، ولهذا يتوجب علينا التحري بإخلاص حول جميع الأسباب الممكنة لجميع المحصلات التي نشهد وقوعها، وليكن هذا تماشياً مع القول المشهور الذي حذرنا فيه هوغوتون: «سعيد هو الذي يمكنه فهم أسباب الأشياء».

وقال الفيلسوف: «لأنهم بدأوا يتساءلون، بدأ الكهنة في مصر أولاً يشغلون دور الفيلسوف، فطلبوا الأسباب المعقولة، ومن ثم النتائج المحتملة لما رأوه، ولقد أذنبوا ضد مبادئ ما جاء في الكتابات المقدسة، التي تعزو الشرور إلى الفرص وليس إلى الذنوب، أو لم يقل الرب: «بسبب ذنوب الناس سأجعل الفاجر يملك» [أيوب : ٣٤ / ٣٠ بتصرف كبير]، وكذلك ألم يرد في القانون الأوغسطيني: «بسبب ذنوب الناس أعطوا أحياناً ملكاً شريراً، وأسقفاً شريراً»، لأن الناس لا يستحقون أميراً جيداً ولا أسقفاً جيداً؟ وللسبب نفسه ينبغي الخوف من

الأمراء ومن الأساقفة خشية من جعل الناس أشراراً بسبب ذنوبهم، ومن ثم يثورون ضدهم، فعلى كل إنسان أن يتهم نفسه، ولا يسوغ أعماله.

١١٢ : وإذا بقي السيد البابامدة طويلة في مملكة فرنسا، ربما سيتمكن من إيجاد عدد كبير من الكرادلة من تلك المملكة، وبذلك سوف تبقى البابوية معنا، ونخلص كلياً من أيدي الرومان، وسيكون هذا واضحاً، حتى ينتهبوا في المستقبل ويتجنبوا انتزاع حقوق الآخرين والاستيلاء عليها، خشية أن يجل بهم مصيراً أسوأ.

١١٣ [٧١] : ومن البديهي أن ملك صقلية سوف يحصل على منافع كبيرة من الترتيبات المقترحة، وسوف تكون مملكة القدس ذات قيمة أعظم، بالنسبة له، من جميع ما يمتلكه الآن، لأن جميع الأراضي يمكن وضعها تحت جزية سنوية، والمملكة سوف تنال الدعم من ممتلكات الداوية، والاسبتارية، والآخرين الذين ورد ذكرهم من قبل، وهو سيسترد أيضاً مملكة صقلية، ومملكة سردينيا سوف تكون من نصيبه بعد تحريرها من فرديريك [أوف أراغون]، حسبما ذكرنا من قبل.

١١٤ : وسوف يمتلك ملك ألمانيا الذي هو الآن ملك مؤقت وبشكل عابر، المملكة، ومنصب الامبراطور الشرفي لنفسه ولورثته بشكل دائم.

١١٥ — ويمكن للورد شارل [أوف فالويس] عندما تنتهي حروب المسيحيين الخاضعين للسيد البابا، أن يستولي — بعون الرب — على امبراطورية القسطنطينية، ووفق الترتيبات المقترحة سيكون لديه مقاتلين لهذه الغاية، ومن المحتمل أنه من دون ذلك لن يكون لديه أحداً.

١١٦ وإذا ما وقعت هذه الأمور كلها هكذا بشكل موثم، هي الآن، وستكون من بعد أعظم فائدة لمولانا السامي، ملك فرنسا، ولأولاده

ولأخوانه، ولازدهاره العام، وسيكون هذا الازدهار أعظم مما يمكن كتابته، وإذا ما جرى تنفيذ هذه الاقتراحات بنجاح، سيكون قادراً على التحالف مع جميع الملوك والأمراء الخاضعين للكنيسة الرومانية، والتحالف سيكون معه شخصياً، ومع أخيه، الذي في ضوء فرصة الاستيلاء على امبراطورية الإغريق، من دون اضطراب في مملكة فرنسا، عليه أن لا يتأخر في الشروع في الحرب ومواصلتها حتى الموت.

ولسوف يكون مصدراً لكثير من المجد والمنفعة إلى المولى ملك فرنسا إذا ما تمكن من الحصول على مملكة ألمانيا وامبراطوريتها لأخيه، ولأبناء أخيه بشكل دائم، وسيكون مفيداً لتحقيق اتفاق حول هذه المسألة مع الملك الحالي، قبل أن يسمع بالخطة الجديدة للسلام.

وحسبما جرى — كما قيل — الاتفاق من قبل في مكان آخر، وقتها سيحصل الملك لنفسه ولورثته على جميع المنطقة القائمة على هذا الطرف من الراين عند كولون، أو أن يحصل في جميع الأحوال على سيادة مباشرة، وإشراف على مناطق بروفانس، وسافوي، مع جميع الحقوق التي يمارسها الامبراطور في لومبارديا، وفي مدن ومناطق جنوى والبندقية، وبهذه الطريقة سوف يحصل السيد الملك على ممر حرّ إلى لومبارديا، وينبغي عقد هذه الاتفاقية بشكل سري بين ملك الفرنسيين وملك ألمانيا، مع موافقة البابا وتأييده، وهكذا عندما يجري الاتفاق على هذه الصورة، ويتأكد، سوف تتأكد تبعية الامبراطورية إلى ملك ألمانيا، وسيكون ذلك لصالحه ولازدهاره، ومن الممكن تقديم الأعطيات إلى ناخبي [الامبراطور] أو على الأقل إلى الناخبين العلمانيين، من أجل الحصول على موافقتهم ويمكن للبابا بنجاح أن يطلب من الناخبين اللاهوتيين تقديم الموافقة، ذلك أنه سيكون لصالحهم من كثير من الجوانب أن تتوقف الحروب المعتادة للامبراطورية ولرعاياها.

ثم يقوم البابا، مقابل الحصول على عطاء سنوي دائم، بتحويل جميع

الميراث الوقفي للكنائس إلى المولى الملك، مع الاشراف الدنيوي القضائي على الأتباع الإقطاعيين لهذا الميراث، الذين سيكون بينهم كثير من الملوك، ويمكن أن يشترط ويتم الاتفاق على أن يقوم المولى الملك بتعيين واحداً من أخوانه أو أولاده سيناتوراً رومانياً وسيكون هذا الفرد، في أثناء غياب الملك نفسه، هو السلطة القضائية العليا في الميراث، ومن الممكن تقديم استئنافات ضد قراراته إلى السيد البابا، الذي يقوم بعد تفحصه للأجراءات في القضايا التي يحق له التدخل فيها، بنقض القرارات، أو تأكيدها، أو أن يتولى تعديلها.

وإذا ما كان اللومبارد، والجنويون، والبنادقة غير راغبين بتقديم الطاعة إلى الملك، وبدفع الجزية والضرائب التي كانوا يدفعونها إلى الامبراطور من قبل، ينبغي على الفور منعهم من التعامل مع الكاثوليك المطيعين إلى المولى البابا، والذين يراعون تطبيق خطة السلام الجديدة ونظامها، ولسوف يحظر عليهم أيضاً المتاجرة بجميع البضائع، ويمكن للملك أن يدخل بحرية إلى لومبارديا عبر طريق سافوي، ويأتي السيناتور، والامبراطور، وملك صقلية من الاتجاهات الأخرى، وبذلك يخضعونها تماماً، وينبغي بعد هذا إرسال المتمردين إلى منفى دائم، وبسبب نظام السلام الجديد، المحظور انتهاك حرمة، والذي تأسس من قبل الحلفاء، سوف لن تستمر رعوتهم المعتادة، لكنها سوف تسقط بالضرورة، ومثل ذلك رعونة الرومان، والتوسكان، والشامبيين، والأبوليين، والكالبريين، والصقليين، وجميع الممالك الأخرى والمقاطعات المطيعة للبابا.

وبهذه الوسائل سيكون ملوك إنكلترا، وأراغون، ومايوركا طائعين للمولى الملك، مثلما هو مطلوب منهم الآن طاعة البابا في المسائل الدنيوية، ومن الممكن عقد اتفاق مع الملك المستقبلي لغرناطة، فهو أيضاً ينبغي أن يطيع الملك، وبالمناسبة يمكن اتخاذ إجراءات في المجمع بأن

يقوم المغتصب ظلماً لمملكة كاستيل — مع احتفاظه لنفسه بتاج كاستيل وبمواردها — بالقبول بالالتزام بتحكيم البابا، الذي يمكنه آنذاك صنع بعض الترتيبات من أجل الآخرين، لأن المغتصب قد أذنب ذنباً عظيماً ضد ابن أخيه البكر لأبيهما، باحتفاظه بالمملكة مراغمة للعدالة العامة، لا بل حتى مراغمة للاتفاقيات التي عقدت بين الملك القديس لويس، وبين والد المغتصب المتهور، والأساقفة والبارونات في مملكة كاستيل، وكان قد تقدم عقد اتفاق زواج فيما بين الولد البكر للملك كاستيل، والأميرة بلانشي، ابنة القديس لويس، اشترط فيه أن تكون ولاية العهد في المملكة إلى أولاد الولد البكر، إذا — كما حدث — ما مات أبوهم قبل جدهم.

ثم ترك كاستيل لمتملكها المتهور، الذي يمكنه أن يعطي مملكة غرناطة إلى ابن أخيه الذي خرق الاتفاقية معه، ومملكة أخرى إلى ابن أخيه الآخر، على شرط أن يطيعا الملك الفرنسي من أجل الحصول على مساعدته ضد المسلمين، وبهذه الطريقة سيصبح الملك الفرنسي في وضع يمكنه من احتلال مملكة كاستيل، وسوف لن يكون غريباً إذا ما سعى ملك فرنسا — مع استثناء السيادة الصحيحة لإسبانيا — نحو الحصول على ولاء وإخلاص بلاد، حصل عليها جده شارلمان لدى طرده المسلمين، والتي تحقق له أيضاً بالوراثة من أم القديس لويس، وبالنسبة لهذه القضية سوف يقوم البابا باتخاذ قرار نهائي حول مصير مملكة كاستيل، وذلك بعد تثبيت الترتيبات الأخرى، وسيقوم في الوقت نفسه السيدان فرناند [دي لى سيردا Cerda] وأخوه بالاستيلاء على مملكتيهما بدون عوائق، وسوف يبتهج المولى الملك في تملكه المتبقي من الأراضي المستولى عليها والمتقدم ذكرها.

١١٧ [72]: وفي المجمع ينبغي أن يسعى السيد الملك مع أخيه، بقدر ما هو ممكن في طلب، وفي تأكيد التحالف مع جميع الأمراء الذين

اجتمعوا هناك، من أجل الحصول على معونة الجميع في الحصول على امبراطورية الاغريق، وذلك بعد فتح طريق إلى الأرض المقدسة، وسوف يكون ملك صقلية — أو ينبغي أن يكون — أول من يفعل هذا، وهو راغب تماماً، ومعه جميع قواته، ولا سيما لصالح الذين سوف يقدمون لمساعدته بالشكل الرائع الذي تقدم ذكره، ويمكنه أن يفعل هذا بواسطة الوعد بتقديم العون بجميع قوى سفنه، ورجاله، وإمداداته.

ووقتها سوف يميل الجميع للوعد، ومن ثم لتقديم العون بجاهزية أكبر مما كانوا سيفعلونه لو أن التعهد العام لم يصنع مطلقاً.

وعندما تبدأ الحروب المعتادة بين الكاثوليك وتوقف، وقتها يمكن بسهولة أكبر إقناع رجال الحرب، الذين بقيوا بالحري بدون عمل في بلادهم، بالاستعداد لتقديم العون الحربي إلى بلاد نائية، وإذا ما جرى تبني الاقتراحات المتقدمة الذكر، من الممكن للذين يعيشون بين الغرب وبين بلاد الاغريق، على هذا الجانب من البحر المتوسط — أو على الأقل الذين قرب الساحل — أن يحشدوا المقاتلين لديهم مع التجهيزات البحرية.

وسيكون مفيداً مهاجمة بلاد الاغريق وامبراطوريتهم من كثير من الاتجاهات براً وبحراً، وذلك باتباع تفاصيل التكتيكات الشاملة التي جرى شرحها مطولاً في الكتاب الصغير الذي عنوانه «حول اختصار الحروب والتكتيكات المتعلقة بها»، فقد جرى إعداده من قبل الكاتب الحالي، وقد بعث به إلى صديق الملك المخلص والمحنك، جين دي فورت، وكان ذلك في طولوز، عندما كان صاحب الجلالة الملك مع أخيه شارل [أوف فالويس] هناك، وصنع هذا بمقصد إقناع اللورد شارل ومستشاريه وأصدقائه، للقيام بتقدير هذه التكتيكات، والاقتراحات الأخرى المتعلقة بها، بدرجة من الاهتمام، ومن ثم تبنيها.

وبعد فحص ذلك الكتاب الصغير، واغتنام الفرصة المناسبة التي يوفرها، ينبغي على جلالة الملك وأخيه شارل، ومعهما الأصدقاء المتدربين على ممارسة الحروب والبارعين في فنون القتال، عليهم توجيه بعض الرجال الحكماء والخبراء والمخلصين لهم للاشراف بعناية وباستمرار على جميع الترتيبات التي أعدت لهذه الغاية، وواضح مما تقدم من قبل، ومن الكتاب الصغير المشار إليه، أنه سيكون من الصعب الإقامة في بلاد لغتها الأدبية، وجميع اللهجات المتحدث بها، غير معروفة إلى جميع الفرنسيين، وسيكون من الصعب أيضاً طلب صداقة وتحالف السكان المحليين، الذين بشكل طبيعي يكرهون اللاتين، ومن ثم حكمهم إذا ما خضعوا، والاختلاط بهم، وينبغي على الأمير الجيد أن لا يستهدف تدمير جميع الناس، وإذا ما كانت هذه غايته، فإن قضيته لا تستحق النجاح، ثم إنه لن يكون قادراً على تحقيق هدفه والوصول إليه.

فكيف على هذا يمكن للانسان أن يحصل على حب الذين بقيوا أحياء؟ وكيف يمكن أن يحكموا من قبل الذين لا يفهمونهم، أكثر من فهمهم لصياح الطيور في الهواء، ولزئير الوحوش، ولفحيح الأفاعي، ولن تتحقق الكفاية بالترجمين الأجانب للغاتهم، بما أنه سيكون خطراً الوثوق بهم، كما أنه لن تتوفر الكفاية في الأشخاص إن عدداً أو حكمة، من أجل إدارة امبراطورية، وسيكون الناس من البلاد الأجنبية — الذين يعدون برابرة في أعين الفرنسيين، مثلهم في ذلك مثل جميع الناس الذين يفهمون لغة الإغريق — متأثرين تماماً، وقد ارتشوا، من أجل خيانة و خداع الذين أيضاً يعدون من قبلهم برابرة في تلك البلاد.

وقد عرف بولص المبارك مع الرسل الآخرين — الذين كانوا جميعاً يهوداً — اللغة العبرية فقط، التي كانت اللغة الأدبية، وكذلك لغة الحديث في المنطقة المحيطة بالقدس، فكيف استطاعوا الوعظ والتبشير بإنجيل الرب بشكل معقول إلى جميع الشعوب البربرية، لولا أن الرب

نفسه قد منحهم القدرة على استخدام جميع اللغات؟ حيث لم يكن بإمكانهم التفاهم بوسيلة أخرى مع البرابرة، وينصح بكل سبيل من السبل، لا بل هو أمر ضروري، الحصول مقدماً على أناس يجيدون اللغات وقد نالوا تدريبات جيدة فيها، ولا يمكن الحصول على مثل هذا التدريب وابتياعه بالذهب والفضة أو بالأحجار الكريمة، لذلك من المرغوب اتخاذ إجراء قبل أن تتوفر الحاجة، إما وفق الطريقة التي عرضت من قبل، أو وفق طريقة أخرى أسهل وأحسن.

١١٨ [73]: وفيما يخص السيد الملك شخصياً، من المؤكد أن كثيرين سوف يعترضون، ويتمتمون، بأنه لا يمكنه بشكل جيد تحمل متاعب القيام بمثل هذا العدد الكبير من أعمال الاستيلاء، ولا إخضاع هذه الكثرة الكثيرة من البلدان المحبة للحروب، ولهذا عليه عدم القيام بمثل هذه المشاريع العملاقة، ويمكن للإنسان أن يرد منطقياً ويجب بأن من المرغوب به للملك أن يكرس الوقت من أجل المسائل الهامة، وأن يقلع بها، آخذين بذلك بالمبدأ الذي أعلنه المشرع جستنيان في بداية كتابه حيث قال: «على الرغم من أننا كنا مشغولين بالعناية بالكومنولث كله، فقد اخترنا عدم عدّ أي شيء ليس هاماً» إلخ، ولو أن كل أمير، كان — كما هو متوجب — سامي التفكير، وشهماً، وكريماً، من المؤكد أن هذا الأمير ينبغي أن يكون هو أكثر من الآخرين بين هذا النوع، وصحيح أنه من الصعب، وقضية خطيرة، بأن يقوم مثل هذا الملك العظيم شخصياً بتجهيز الحملات، وأن يشترك في المعارك العامة، حيث يمكن لواحد من أخوان هذا الأمير، أو أبنائه أو أقربائه، القيام بذلك وفعله بنفقات أقل، ومخاطر أدنى مما لو قام هو بذلك، وبعدد أصغر من المقاتلين — النصف أو الثلث أو ما يقارب ذلك — لكن لن يكون أمراً سليماً ولا ينصح به محاولة القيام بذلك، إلا بالارتباط مع الخطة المقترحة من أجل سلام عالمي شامل.

ومن المستبعد أن يجد العصاة حلفاء، لأن الجميع سوف يعانون من العقوبة ومن الحرمان الكنسي، وسوف يكون قادتهم ومقدميهم مجرمين بالحنث باليمين، وعلى هذا سوف يوصمون بالعار، وبسبب ذلك سوف يسقطون في ازدراء أبدي، وينبغي عدم الاعلان عن الاستيلاء على الأراضي — باستثناء تحويل ميراث المبارك بطرس — قبل تسوية مشكلة الأرض المقدسة، وعليهم الالتزام بروابط السلام العالمي الدائم، الذي أعلن في كل مكان، وذلك بشكل تلقائي، وذلك بسبب الحماس والضغط من أجل الذهاب إلى معونة الأرض المقدسة، وسوف يقسم على روابط السلام من قبل جميع الأمراء، والأساقفة والنبلاء، وتصبح سارية بموجب وثائق رسمية، بطريقة تربط ورثتهم وترغمهم على أداء أيان مشابهة، وعندما تجلب هذه الوثائق إلى قاعة الخزينة التابعة للكنيسة الرومانية من أجل حفظها، وتدخل في السجل العام وتدون فيه، وقتها يمكن للحملة إلى الأرض المقدسة أن تبدأ، وأن تلقى بمعونة الرب نهاية ناجحة.

ثم يمكن لأصحاب السيادة البابا والملوك إنذار جميع الرعايا في المناطق المستولى عليها حديثاً بوجوب طاعة الأحكام الملكية، وإلا سوف يتعرضون إلى جميع العقوبات التي يمكنهم فرضها، وسوف ينال المتمردون طبقاً لميثاق السلام العقوبة على الفور وبالقسوة الممكنة، وهكذا يتدبر الأمر بأن تلقي العقوبة المفروضة على عدد قليل الرعب في قلوب الكثيرين، وبذلك يصبح جميع الناس جيـدين: الذين لديهم الاستعداد الجيد بالترغيب بالجوائز، والأشرار بالخوف من عقوبة دائمة لهم شخصياً ولجميع ذريتهم.

ويتوجب على الأمير المسؤول المباشر إخضاع الذين قاتلوا ميثاق السلام، وإرسالهم إلى الأرض المقدسة للدفاع عنها، والعمل الفوري لهذه الغاية ضروري، حتى لا يتجرأ آخرون، على تقديم المساعدة لهم،

وذلك خوفاً من العقوبة، ويبدو من غير المحتمل أن يقدم عن طواعية جميع الأساقفة والنبلاء العائدين لأي منطقة، على اقتراح مثل هذا الخرق، ومن الممكن — على هذا — أن ينقسموا ضد بعضهم بعضاً بواسطة المعلمين والمستشارين العائدين للملوك الآخذين بالسلام: «فكل مملكة منقسمة على نفسها سوف تتمزق ولن تدوم»، فهذا ما حدث عندما تحالف الامبراطور [فردريك الثاني] مع حزب المعارضة في كل مدينة من مدن لومبارديا رفضت طاعته، ودعا حزبه باسم حزب الغبليين، ودعا الحزب الآخر الذي وقف إلى جانب البابا باسم حزب الغولف، ولقد تمكن بمساعدة الحزب الذي تحالف معه، بكل سرعة، من إخضاعها معاً، ويتضح من هذه الحادثة أن حزب الغبليين، الذي تعاون مع السيد الحقيقي، كان أعقل من الحزب الذي أخضع نفسه إلى البابا، وابتعد عن الخضوع وتقديم الطاعة إلى أميره.

وحدث أيضاً، منذ وقت طويل مضى، أن قام اللومبارد بسبب رعونتهم، وثروتهم، والدفاعات المتوفرة في مدخل بلادهم، بالانفصال، وبادروا بتهور إلى إعلان العصيان، وأنكروا الخضوع إلى الامبراطور، دون أن يتمكنوا من الحصول على استثناء قانوني، وبذلك خرقوا بشكل عنيف وجدي قانون السيادة اليولياني، ولقد استحقوا لهذا العدوان هم وذريتهم جميعاً العقوبة بمصادرة جميع ممتلكاتهم، وإذا ما غامر البابا، في ضوء جريمتهم العظمى بالدفاع عنهم ضد الأمير، الذي هو راعيه ومؤسس ومعطي جميع الميراث الوقفي الكنسي، سيبدو البابا وقتها — إذا جاز القول وجازت الكتابة — عاقاً، مقترفاً لجناية ينبغي أن ينال تجاهها عقوبة قانونية.

١١٩ [74]: وسوف يكون متماشياً تماماً مع المنطق، أن يبقى السيد الملك بدون نشاط، ليمتلك الوقت من أجل إنجاب الأولاد، ومن ثم القيام بتنشئة أولاده وتعليمهم، وللتفوه بالأحكام، وليتولى شخصياً

فض القضايا الهامة، والتعامل مع المسائل الخطيرة، أو أن يأمر آخرين بالقيام بها، وأن يوجه الحملات من خلال توكيل أقرب القادة العسكريين إليه، وأكثرهم ثقة، وأن يجهز الجند، وأن يوفر الامدادات الضرورية والنافعة لمتابعة الحرب، وهذا واضح مما قاله الفيلسوف في كتابه «السياسة»: «الرجال ذوي الذكاء الوقاد هم بشكل طبيعي الحكام والسادة على الآخرين»، كما قال أيضاً في الكتاب السابع من «الفيزيك Physic»: «يصبح العقل الهادىء منطقياً وحكيماً»، وهكذا مكث القديس داود بدون نشاط، متمتعاً بالوقت من أجل التأمل، وأرسل بالوقت نفسه بني إسرائيل لمباشرة الحملات العسكرية.

ويمكن لقادة الحرب الذين أرسلوا وفق هذه الطريقة أن يقوموا بالحركات العسكرية بسرعة، وأن يبدأوا القتال بشكل مفاجيء، وأن يزحفوا ببراعة، ينتقلون من هنا إلى هناك بالنهار وبالليل لمضايقة العدو، وأن يعتمدوا إلى أبعد الحدود في الانفاق على أنفسهم من أسلاب العدو، ولا يمكن للملك عظيم أو أمير أن يفعل هذا، لأنه لا يليق به أن يذهب إلى الحرب لصالح قلة، فيهمل إدارة عدد كبير لا يقارن من الناس، وسيكون مؤذياً أن يقوم أمير عظيم من هذا القبيل بإهمال واجباته الادارية الهامة والكثيرة جداً، وأن يعرض نفسه للخطر، ولإمكانية الموت من خلال حادث مفاجيء من الحوادث، خشية «أنه عندما يصاب الراعي بتحريض من الشيطان تتفرق شياه القطيع».

ومن المفيد جداً للأمير عندما يرسل جيشاً إلى إحدى المقاطعات بهدف إخماد ثورة ما، أن يأمر، أنه إذا ما صدف ومات القائد، أو جرح، أو وقع مريضاً، أو بات عاجزاً بشكل ما آخر، بقيام آخر بالحلول محله على الفور: بدون شرط أو تراجع إذا ما كان القائد قد مات، لكن إذا كان عاجزاً فقط، يكون ذلك حتى يشفى.

وعلى القائد البديل متابعة النشاط على الفور، وفي الوقت المناسب،

تبعاً لخطة متفق عليها، ولسوف يكون عيباً قاتلاً في الأوضاع التنظيمية لجيش كبير، أن يبقى بدون نشاط ومشلولاً ومزقاً، بسبب عجز فرد واحد.

وقال بيوثيوس Boethius: «في هذا العالم يجري الحديث فقط عن المحاسن التي أمرت بها الطبيعة، والتي تخدمها»، ومثل هذا قال الفيلسوف: «مثلما العالم هو وحدة، من خلال وحدة المطلب الذي يستهدفه الجميع، والذي ندعوه بالمقام الأول باسم الرب، كذلك الجيش هو وحدة بموجب هدفه، الذي هو النصر، الذي يسعى من أجله قائد الحرب، والذي يتوجب على كل رجل في الجيش أن ينشده»، وكان مفيداً للأمير أن يوجه طاقاته نحو هذا الهدف، أي هدف الحصول على سلام دائم، لأنه في وقت السلم يمكن للناس أن يمتلكوا وقتاً كافياً، وحرراً، وتاماً، للحصول على الفضائل وعلى العلوم، وقد بين الفيلسوف أن «الذي يطلب الحرب من أجل الحرب فقط هو الغاية في الشر»، والذي ينشد بتواضع النصر والسلام بوساطة قدرة الرب، وليس بوساطة جهوده، سوف يجد السلام في الرب، الذي هو كما قال الرسول: «يفوق كل عقل» [فيلبي: ٤ / ٧].

١٢٠: إذا لم يمتلك أمير عظيم مثل ملك فرنسا سوى ولد واحد ليخلفه على العرش، لا يجوز أن يعينه قائداً لحرب خطيرة، من دون مواجهة خوف عظيم من إمكانية تعرضه لمكروهه، لكن إذا ما جرى تعيين مثل هذا الولد الوحيد، عليه عدم مقارنة رعب الحرب من دون اهتمام وتفكير، وكأن لديه عدة أخوة، ولهذا ينبغي أن يمتلك الملك وابنه البكر الوقت لانجاب الأولاد، وأن يجري تعيين الأبناء الآخرين والأخوة قادة للحرب، فقد قال الفيلسوف: «الشجاعة التي تجعل جميع الجنود راثعين وجيدين، وممتازين، هي الاقتراب من رعب الحرب، ومن تهديد الموت، من أجل الصالح العام، وليس من أجل صالح فرد فقط»،

وزاد على هذا فقال في كتاب «السياسة»: «إن أميراً يحكم من أجل منفعته الخاصة وليس من أجل المنفعة العامة ينبغي أن لا يدعى أميراً، بل طاغية»، لكنه إذا ما توجه بتواضع نحو الرب، وأراد من خلال قدرته، الصالح العام، أي سلامة الكومنولث وحده، فإن منافعه الخاصة ومصالحه سوف تتبع، مثلما جاءت جميع الأشياء الجيدة في العالم إلى سليمان، وكذلك الحكمة التي طلبها لوحدتها من الرب.

[75]: لقد طرحت هذه المسائل مع وسائل اختزال الحروب في العصور الحديثة وجعلها أقصر مما كانت عليه من قبل، في كتاب «حول اختزال الحروب والدعاوى القضائية في مملكة فرنسا، وإصلاح أوضاع الكومنولث العالمي للمسيحيين»، فهناك كتبت هذه الاقتراحات، ليس بسبب أنني اعتقدت أنها تغطي كل شيء، بل من أجل إعطاء الرجال الحكماء والمجربين الفرصة لإنجاز عمل كامل حول هذه المواضيع والمواضيع المرتبطة بها، وقليلة هي الأشياء في هذا العالم التي صنعت بشكل جيد، حيث لا يمكن أن يخطط ولا ينفذ بكمال أكثر، ولا بطريقة موثمة أحسن مما نفذ، وسوف يرى المولى الملك هذا، إذا ما توقف عن التفكير كم سيخفف عن نفسه وعن شعبه عندما يشن الحرب، إذا ما اتبع ونفذ الخدمة العسكرية التي هي حق له وفق الطريقة التالية، وليس وفق الطريقة المعتادة.

١٢١ [76]: صحيح أن واجب الخدمة العسكرية من أجل الدفاع عن المملكة قد ألقى على عاتق الإقطاعيات الأكبر والأهم، فهذه الخدمة العسكرية هي الواجب الإقطاعي المعتاد، المفروض على كل من لديهم إقطاعيات، أو بواسطة أناس آخرين مناسبين، ليس بشكل منتظم كل سنة، بل فقط عندما تتطلب الحاجة، ومسؤولية الدفاع عن المملكة هي مسألة لا تخص فقط المولى الملك، والذين بأيديهم إقطاعيات مقابل مثل هذه الخدمة، بل تخص أيضاً الأعداد الكبيرة من الآخرين الذين بأيديهم

إقطاعات حرة غير مثقلة بخدمات خاصة، وهي أيضاً تخص — لكن ليس كثيراً جداً — كل الذين بأيديهم إقطاعات، هي في معظم الأحيان أقل قيمة، وهي أيضاً مثقلة بمبالغ تدفع سنوياً، وهذه المبالغ في كثير من الأحيان تساوي القيمة الإجمالية تقريباً للإقطاع سنوياً، أو تساوي نصف القيمة.

١٢٢: والدفاع عن المملكة هي أيضاً مسألة تخص رجال الدين الأدنى مرتبة بسبب امتيازاتهم المعتبرة روحياً ودينوياً، وهكذا ينبغي استدعاء جميع المتوجب عليهم أداء خدمات عسكرية لمقصدتين ولسبيين، لهما وزنها من أكثر من جانب، والمقصود بذلك هو أن عليهم أداء هذه الخدمة عندما تستدعي حالة الطوارئ، فهم قد نالوا ما بأيديهم من إقطاعات مقابل أداء هذه الخدمة، وكان السيد الملك آنذاك الذي منحهم إقطاعات، قد منحهم إيّاها وفق هذا الشرط، وهو قد دافع — ومطلوب منه أن يدافع — عن كل واحد منهم، ضد أي واحد قد هاجمهم بقوة السلاح، ولذلك إنه لصالحهم تقديم كل خدمة متوجبة عليهم، لأنهم بدون ذلك لن ينالوا السلام، كما أنهم لن يحظوا بالوقت للتمتع بممتلكاتهم والحصول على محاسن العلوم وفضائلها، ولهذا عندما يقوم تهديد بحالة طوارئ، ينبغي استدعائهم أولاً، وإذا كان العون الذي عليهم تقديمه هو — أو يعتقد أنه — كاف، وقام الملك باستدعاء الذين ليس متوجباً عليهم شرف خدمته، يكون بهذا العمل قد سعى بالحري إلى إلحاق الضرر بهم، بدلاً من تقديم العون إلى نفسه، ويتبع هذا، إنه بموجب مواد القانون، يعد ذلك عدواناً لا يغتفر، ويصبح هو مذنباً بجرم عظيم، لأنه استدعى وتحكم بهؤلاء الذين كان من المتوجب عدم استدعائهم، لأنهم ليسوا خاضعين للتكليف.

١٢٣: وإذا ما عمل السيد الملك وفق أفضل النصائح المتوفرة، عليه أن يقنع أن عون جميع الذين يدينون له بالخدمة العسكرية هي كافية،

ويمكنه أن يقوم بعملية استدعاء *Levee en masse* ، أي أن تقول العون الأول للذين بأيديهم إقطاعيات حرة، وإذا كان ذلك كافياً عليه أن يقنع، وإذا كان غير كاف، عليه استدعاء عون الشعب، أي جميع الذين يقفون خارج العلاقات الإقطاعية، إلى الحد الذي يرى فيه تقدير أمين أنه قد حصل على حاجته.

[77] : وإذا ما افترض أن موارد السيد الملك والاقطاعيين الآخرين الذين يدينون له بواجب الخدمة، مع الذين ذكروا أعلاه ممن بأيديهم إقطاعيات حرة، سواء أكانوا يدينون له بواجب الخدمة أم لا يدينون، افترض أنها غير كافية من أجل الدفاع، وقتها في أحوال الضرورة للدفاع عن المملكة — وخروجاً على القانون — يمكن للملك أن يفرض ضرائب على ممتلكات الكنائس وعلى المؤسسات اللاهوتية، أو الاستيلاء عليها، وذلك بحدود ما يحتاجه من وسائل من أجل الدفاع الكافي، وهذا هو المصدر النهائي والأخير الذي يمكن للملك أن يلجأ إليه، وكون كفايته واضح من حقيقة أنه نادراً — أو مطلقاً — ما جرى الاستيلاء على مثل هذه المساعدة من الكنائس ومن المؤسسات اللاهوتية، ومرد هذا إلى سبب أنها في أية مرة جرى الاستيلاء عليها، جاء هذا الاستيلاء مضاداً للموقف العام، وموقف القانون الكنسي وموقف القانون المدني، ولهذا يعد هذا العمل جنائية عظيمة، ما لم يتوفر قانون، يمكن بموجب فضيلته ومنطقه القيام بمثل هذا الاستيلاء، ولا يوجد هنا سوى قانون واحد فقط، وأعني به الضرورة الملحة للدفاع، وهذه الضرورة ليست حتمية، بمعنى أنها ضرورية من أجل أن تشرق الشمس، إنها مشروطة، بمعنى أن التغذية للحيوان شرط ضروري إذا ما أريد إنقاذه، وبقائه حياً، وهذا ما نقرأه في الكتاب الخامس من ال *Analytics* في فصل «حول الضروريات».

١٢٤ : وبناء عليه إنه من حق الملك، ومن واجبه أن يطلب

الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة من أجل الدفاع عن المملكة، على أن يكون ذلك الملاذ الأخير، عندما يتبرهن أن موارده، وورديتها من الضرائب الاقطاعية ومن الـ *Levee en Masse* غير كافية من أجل المهمة، لكن دعونا نفترض أن مائة ألف مارك فضي كافية من أجل هذا الدفاع، وأن الملك سوف يستولي على مائتي ألف مارك، فهل يمكنه أن يفعل ذلك دون اقراراف لجناية عظمى؟ من المؤكد لا، لأنه عندما يتوقف السبب تتوقف المؤثرات، فجميع العلوم توافق على هذه النقطة وتضفي عليها الشرعية.

ونتيجة لما تقدم، عندما يصبح سبب الاستيلاء هذا غير شرعي، فإنه لا يجوز للملك الاستيلاء على شيء، ما لم يكن راغباً بشكل مكشوف أن يسرق وينهب، وبالمنطق نفسه، إذا ما كان بحاجة إلى مائة ألف مارك من الفضة أو من الذهب، وقام بالاستيلاء على الأكثر، فإنه يكون قد مارس النهب والسرقه، بكلمة مزيفة وبفعل أخرق، عندما ادعي وجود حاجة ضرورية وهي لم تكن موجودة، وإذا ما فعل الملك هذا وهو على دراية كاملة بواقع الحال، يعدّ كاذباً، وبسبب ذلك الكذب — الذي يجرمه الرب — تنكر للرب وصار ابناً للشيطان، الذي هو والد الكذب، وجميع الكذابين أولاده: مثلما يدعي الذين يقولون الصدق — في هذا المجال — أبناء الرب.

وقد تبرهن هذا في عدد من نصوص الكتاب المقدس، خاصة في الرسالة إلى تيطس، ومن ثم عدّ ذلك قانوناً شرعياً، وهكذا جاء في السبب ٩، والسؤال ٣ والفصل [٧٨]: «يفسد الحكم بأربعة طرق» وكذلك في الفصول التالية، ومن الواضح إلى جميع المرتبطين بالإيمان الكاثوليكي، أن استخراج الضرائب فوق الحاجة جنائية عظمى، لا يمكن غفرانها، ما لم ترد الأموال المستخرجة لغير الضرورة، وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة إلى جميع المال المستخرج، إنه على هذا صحيح أيضاً

بالنسبة للجزء، لأنه حسبما جاء في تحذير القانون المدني «هناك العلاقة نفسها بين الكل والكل كما هي بالنسبة للجزء إلى الجزء».

[78]: وواضح مما تقدم أنه صعب جداً بالنسبة للسيد الملك أن يحكم بإنصاف في قضية الضرورة هذه، وصعب بالدرجة نفسها بالنسبة لمساعديه ومستشاريه أن ينصحوه بشكل عادل حول هذه القضية، باختيار حل وسط تبعاً لحصص الهندسة الحقيقية وليس تبعاً لحصص الرياضيات.

وإذا ما قضى الملك بشكل صحيح في هذه المسألة، وقدم له مستشاروه نصيحة عادلة وصحيحة، فإنهم بذلك يفعلون خيراً وفضيلة، إذا لم يكن بعض الشر قد أضرّ بهم من جهة أخرى، وبما أن الخير والشر شيئان متضادان، حسبما قال الفيلسوف، لا يمكنها التعايش والوجود في الموضوع نفسه، وبناء عليه يفسد شر واحد ويدمر جميع الفضائل العائدة للموضوع الذي وجد فيه، ولهذا قدّر الفيلسوف تقديراً عالياً ما قاله هرقل، وعبر عن ذلك بشكل جيد عندما كتب: «تضيء الفضيلة دوماً عندما تكون المجريات صعبة جداً»، وأضاف قائلاً: «إنه بالنسبة لنا صعب جداً أن نكون جيدين»، وينبغي بالنسبة لنا أن نلتزم بدون انحراف بالطريق الوسط، متجنّين الإسراف الشديد، والعوز، وأيد الفيلسوف هذا بإشارة مشابهة بقوله: «هناك مسلك واحد، هو المسلك المستقيم، الذي يأخذ السهم إلى هدفه، والخطوط التي تتشعب من الخط المستقيم، هي معوجة وهي غير محصورة العدد، وقال إنه بناء على ذلك، أن يلتزم الإنسان بالخط الوسط في ممارسة الفضيلة هو صعب بقدر صعوبة إطلاق سهم، يقوم بخرق الهدف، ولا ينحرف عن الخط المستقيم.

١٢٥ : وبعد لفت الانتباه الدقيق لما تقدم، ربما سيرغب صاحب الجلالة الملكية، لأن يقدر، ولأن يحكم بعدل، بدون إلحاق ضرر بأي

إنسان، فيما إذا من الممكن إبداع وسائل أخرى، يمكنه بها بشكل عادل وقانوني أن يستخرج بقوة من الناس المتمنعين العون العائد لـ Levee en Masse، وللكنائس.

١٢٦ : ومن البديهي أن السيد الملك، الذي هو مسؤول بعمق أكثر، وبطرق أيضاً أكثر، لا بد له من الدفاع عن مملكته، وعليه أن يكون مستعداً للدفاع عنها عندما يهددها الخطر، وأن يقاتل ليس تقديراً لمملكته فقط — كما فعل أجداده من قبل — بل كما يليق برتبته، وبتقدمه، وبشروته.

١٢٧ : ومن الممالك، والدوقيات، والكونتيات، والبارونيات، والقلاع، والاقطاعيات الأخرى، التي استحوذ عليها الملك في هذا الجانب [من الألب] في ماضي مئات السنين، منها جميعاً ينبغي أن يطلب على الأقل العدد المقرر من العساكر المتوجب على أوضاعهم حسباً تقضي بذلك حقوقه الاقطاعية، وعلى السيد الملك إجبار كل واحد من أتباعه الاقطاعيين والدوقات والكونتات، والبارونات، وأصحاب القلاع، والفرسان، وبشكل عام كل واحد يدين له بخدمة ثابتة، إجبارهم جميعاً على تقديم هذه الخدمات وتأديتها دونما غش أو نقصان، وعليه أن لا ينقص أو أن يتخلى عن أي جزء من هذه الخدمات أو إهمال فرضها، وذلك بغية معاقبة الذين تتوجب دعوتهم فقط من خلال . Levee en Masse

١٢٨ : غير أنه يحكى بأن السيد الملك غير متفكر بهذا، وقد أودع نفسه وأحكامه بأيدي مستشاريه، الذين اعتاد على دعوتهم لمساعدته في الحرب، أحياناً على حسابه، هذا وينبغي على هؤلاء الكونتات، والبارونات، والفرسان، والأتباع — بحكم وجوب تقديمهم خدمات عسكرية — أن يقوموا بحملات على حسابهم، وأن يسددوا تعويضات بخدمات عسكرية مقابل إقطاعياتهم فضلاً عن هذا، يقوم الدوقات،

والكونتات، والبارونات، والفرسان، والآخرون المتوجب عليهم تقديم خدمات عسكرية، يقومون غير راغبين بأداء الحملات وتقديم الخدمات وحدها، فاعتادوا على أن يأخذوا معهم، وعلى أن يستبقوا بخدمتهم آخرين كثر على حسابهم، في حين أن المتوجب على هؤلاء تقديم خدمات على حسابهم مستحقة عليهم، وفي هذا يتركون بدون عمل آخرين من الشجعان ومن النبلاء الأقوياء يكونون مسرورين بالقيام بحملات على حساب الآخرين لو جرى استدعاؤهم لذلك.

وفي ظل هذه المعطيات حدث مراراً، أن يقوم الفارس الذي عليه أداء خدمة عسكرية، بإرسال واحد من أولاده مع ثلاثة أو أربعة من الرجال، ويبقى هو شخصياً في مسكنه مع خيوله وسلاحه، ويقوم الابن الذي يتولى أداء الخدمة المتوجبة على أبيه، وعلى حساب هذا الأب، باستخراج مال يدفع له من فارس جار لأبيه، ليتولى أيضاً أداء واجباته عنه، وعلى هذا نراه قد عمل عوضاً عن نفسه وعن جاره، ونراه فيما بعد ينجح في وضع نفسه في خدمة مدفوعة لدى واحد من الكونتات أو البارونات، وكذلك على حساب واحد من النبلاء يقوم باستقباله، وعلى هذا نراه يقوم بتأدية واجب خدمة عسكرية مزدوجة عن كل من أبيه وجاره، وبذلك يحصل على أجر مضاعف.

وبمثل هذا التراخي والإهمال في الالتزام بالحقيقة، وفي التهرب من الخدمة العسكرية من قبل عدد كبير ممن يتوجب عليهم ذلك، وقيامهم في كثير من المناسبات باستهلاك نفقات الخدمات المدانين بها إليه، قام السيد الملك بفرض الـ *Levee en Masse* ، في حالات توجب فيها عدم الدعوة، وعدم الفرض، وقيام الملك بغض النظر عن الخدمات المتوجبة، وبإيجاب الخدمة على الذين غير متوجبة عليهم، يثقل بذلك نفسه روحياً بشكل رهيب، ويثقلهم دنيوياً، ومثل هذا حدث بالادعاء بوجود ضرورة في قضية الكنائس، فبناء على ذلك الافتراض استخرج

العون منهم، مع أن الحقيقة معروفة، حيث لم تتوفر الحاجة، أو على الأقل لم تكن حالة الطوارئ عظيمة بما فيه الكفاية، وهكذا اقترف جناية عظمى باستخراجه العون بدون حاجة.

١٢٩ : فكيف على هذا، يمكن لأمر أن يستفيد من الحرب، وكيف يمكنه الاحتفاظ بالمتلكات التي صادرها من أجل حروبه، في وقت تجاهل فيه أحكام القانون والعادات، بقيامه بظلم عدد كبير من الناس، وبالتخلي إلى الأثرياء — غير شاكرين له، لعدم فهم الأوضاع — عن الجزء الأعظم أو عن كل الذي استخرجه من الفقراء ؟ ومع أن الكنيسة لم تدرك هذا كله، مع هذا عدت نفسها متأذية، فتوقفت عن تقديم صلواتها المعتادة لصالح السيد الملك، ومع أن الملك لم يتبع هذا الطريق برغبة ذاتية منه، بل اقتيد إليه من قبل مستشاريه، يبدو لي أنه ما كان له ليفعل ذلك، بسبب أن عليه أن ينجح أمام الرب الذي يرى الجميع، ذلك أنه كان مهملًا، بالأخذ بنصيحة رديئة، وأخفق في السعي وراء مشورة صحيحة جيدة، بالتنازل إلى المدانين له عما استخرجه من الذين غير مدانين له، وهكذا يتوجب طلب عون الـ *Levee en Masse* وعون الكنيسة، وتسلم ذلك، فقط عندما يسمح مذهب الاجراءات الموصوف أعلاه ويجري اتباعه.

١٣٠ [79] : وواضح مما تقدم أن عليه أن يسير وفق الخطة التالية التي عليه تبنيها، لأن من المتوجب وجود نظام في كل مكان (باستثناء في جهنم، حيث كما قال القديس : لا ترتيب، بل رعب مقيم دائم — أيوب : ١٠ / ٢٢)، فعندما توجد حالة طوارئ، ولكي يتجنب الملك ظلم رعاياه، عليه أن يسعى أولاً للحصول لنفسه على ما يكفي من العساكر الاقطاعية والتجهز بهم، مثلما اعتاد أجداده على تزويد أنفسهم قبل حصولهم على دوقية نورماندي وما شابهها من الدوقيات الأخرى، والكونتيات، والبارونيات، والاقطاعات التي تم الحصول عليها قبل

وصوله إلى العرش، وإلى هؤلاء ينبغي أن يضاف الضرائب الاقطاعية المفروضة على المناطق التي حصل هو عليها شخصياً في أثناء حكمه، وعليه بعد هذا أن يجهز من الاقطاعيات التي سيتم عليها الحصول الآن، مثلما سوف يفعل الدوقات، والكونتات، والبارونات، ويجهزون أنفسهم، لو أنها ما زالت في أيديهم، وعليه أخيراً استدعاء الذين غير المتوجب عليهم تقديم الخدمة العسكرية، لكن وفق طريقة لا يبدو بها مضرراً برعيته، ولا منزلاً الظلم بها، أي بطلبه عونها في وقت لا حاجة لذلك فيه، وعلى الانسان أن لا يخاف من فعل الشر فقط، بل من التظاهر بفعل الشر، وعندما يكون قد استعد بشكل وافر يمكنه أن يستدعي إلى حربه النبلاء، والكونتات، والبارونات، وأية رجال آخرين مدربين.

١٣١ : وينبغي على الملك أيضاً أن يتنبه إلى جميع رعاياه الذين عليهم تأدية خدمات مسلحة، أن يظهروا مع العساكر كلها من أجل ضرورة تأدية واجب الخدمة العسكرية الملزمين به، أي أن يجندوا وفق طريقة، بحيث ما من أحد يدخل في الوحدة التي عليه تأدية الخدمة فيها على حسابه الشخصي، أو أن يكون بدلاً عن آخر، واتباع هذا الاجراء وباستخدام كاف فقط لسلطاته العليا والملكية، سوف يكون مع الملك جميع — أو تقريباً جميع — نبلائه، ولن يستولي بوسائل الـ *Levee en Masse* على ما اعتاد أن يتنازل عنه إلى الذين عليهم تأدية خدمات مسلحة، وكذلك لن يثقل كاهل الكنيسة، ولن يتوقف الناس عن تأدية صلواتهم المكرسة، بفضله وحده — وليس بقواهم — الذي اعتاد قادة الجيوش على نيل النصر.

١٣٢ [80] : وإذا ما رغب أي إنسان في إدانة هذه الطريقة في تعبئة جيش من الجيوش — لأن أجداد السيد الملك لم يعتادوا في الماضي على فرض الخدمة العسكرية بهذه الطريقة — من الممكن أن نجد الجواب في

تحذير القانون المدني بقوله: «على الانسان أن لا يولي الاهتمام لما حدث في روما، بل لما ينبغي أن يحدث» وقوله ثانية: «على الانسان أن لا يحكم بناء على الأمثلة، بل بموجب الشرائع»، ويتماشى هذا مع ما قاله أستاذ الفلسفة الكبير، المعلم سيغري دي برابنت، الذي كنت تلميذه آنذاك، وقرره على قاعدة أرسطو في «السياسة»: «إنه لأفضل بكثير أن تحكم الدولة بشرائع عادلة، من أن تحكم برجل عادل مستقيم»، ذلك أنه لم يكن، ولا يمكن أن يكون هناك رجل مستقيم إلى حد لا يمكن إفساده فيه بالغضب، وبالكرهية، وبالحب، وبالخوف، وبالجشع، فهذا ما نبهنا إليه قانون الشريعة في السبب ١١، السؤال ٣، الفصل [٧٨] بقوله: «يفسد الحكم بأربعة طرق»، وكذلك بما قاله في الفصول التالية، ووافقه الفيلسوف عندما قال في كتاب «السياسة» المتقدم الذكر أعلاه: «حكمت في البداية بعض الدول من قبل الملك، أي بإرادة شخص كان السيد بينهم، لكن بما أن الملوك يعاقبون أصدقائهم بعقوبات خفيفة، وأعداءهم بعقوبات ثقيلة عندما يعتدون، من هنا انبعثت الشقاقات والحروب، ولهذا، ومن أجل إنهاء هذه الشرور بدأ الناس يحكمون بشكل أكثر عمومية بوساطة القوانين والنظم التي لا توفر أحداً.

١٣٣ : ومرة أخرى الناس في هذه الأيام أكثر شرهاً وسوءاً مما كانوا من قبل، وأكثر دهاء وبراعة في المكر، وقد قال الفيلسوف في «السياسة»: « يفكر الرجل الحكيم الذي استسلم إلى الشر، بمختلف أنواع الشر، ويارسها».

١٣٤ : وقال ثانية في الكتاب نفسه: «تبلغ العداوة أسوأ أوضاعها لدى اللجوء إلى السلاح»، أي سلاح الحكمة، وجاء في مدونة الامبراطور جستنيان: «لا يوجد أسوأ من إنسان حكيم استسلم إلى الشر، فهو لا يمكن نصيحته»، ولهذا من التدبير الحسن اللجوء إلى وسائل معالجة جديدة ضد الأعمال الشريرة للناس المتوجب عليهم القيام بخدمات

عسكرية، لكنهم لا يقومون بها، مما يلحق الضرر الكبير بأمرهم الرئيسي وبالعدد الأكبر من أتباعهم، ثم إن هذه الخطيئة العظيمة، التي سوف يصدر عنها كثيراً من الذنوب، والأخطاء، وأعمال الظلم، سوف تتوقف في المستقبل، وسيتم أيضاً محق العدوى المهينة لهذه الخطيئة، التي أصابت عدداً كبيراً جداً من الأرواح، بموافقة من السيد الملك، ورجال الدين والشعب، وسيكون هناك بعض التعويض للمظلومين، لكن ليس للظالمين.

١٣٥ [81]: من إيقاف الخدمة العسكرية، عندما تبدو الحاجة أنها قامت لذلك، ومن توفر الحاجة إلى إنقاص عيار العملة في المملكة، التي يتسلم كل إنسان في المملكة بها دخله، فإن الأكرية سوف تفقد في البداية ربع قيمتها ودخلها، ثم الثلث، وبعد ذلك النصف، وأخيراً الثلثين، ولقد حسبت أنا كاتب الرسالة الحالية، وعرفت من خلال تناقص سعر العملة المستمر، أنني قد فقدت على الأقل خمسمائة ليرة تورية، وكان هذا بعد الشروع بإنقاص عيار العملة، وإذا ما قدرنا كل شيء، أعتقد أن السيد الملك قد فقد، وسوف يتابع فقدان والخسارة بإنقاص عيار العملة أكثر بكثير مما حصله من منافع أو يمكن أن يحصله في المستقبل، وبسبب إنقاص عيار العملة هذا، ارتفعت أسعار الحاجيات كثيراً، إلى حد أن الأسعار ربما لن تنقص وتعود إلى المستوى القديم، ومن أجل التعويض على الناس الذين عانوا من هذه الشدائد العامة، يتوجب معاقبة الذين خططوا، وصنعوا، ونفذوا مثل هذا الحل، وأنقصوا عيار العملة مراغمة لجميع مبادئ وقواعد القانون، وأيضاً مراغمة لعادات مملكة فرنسا التي تبرهن أنها ظلت بلا خرق منذ ما قبل ما يستطيع الناس الأحياء أن يتذكروه، وسيكون مفيداً لفت انتباه صاحب الجلالة إلى هذه المسألة: ذلك أن التجاهل بلاهة وغباء، ولا يمكن مطلقاً أن يكون تسويغاً مقبولاً للخطيئة، لأن الجريمة الكبرى موجودة على معيار

مع نية شريرة.

وفي الحقيقة، هناك لوم عظيم بالبقاء جاهلاً بما يعرفه الجميع بلقبه، وذلك حسبنا حذرنا القانون المدني، وأنا لا أعتقد أن إنساناً بعقل سليم يمكنه — أو ينبغي — أن يعتقد أن الملك كان سيقوم هكذا بتغيير نقوده وإنقاص عيارها، لو اعتقد أنه سيصدر عن ذلك مثل هذا القدر من الشور، ثم لأنه نشأ وسط رفاه عظيم، وثراء كبير، واعتاد دوماً على ذلك، لا يمكنه أن يدرك شخصياً تماماً النقص والحاجة، وأنواع العوز والفقر التي لا تحصى، وهو على هذا مثل الذين عاشوا زمناً طويلاً دون المعاناة من أي مرض، ولهذا ليس لديهم ميل للخوف من أسباب المرض ومن مصادره، لأنهم لم يتذوقوا الطعم المر للمرض.

ولقد قرأنا عن عدد كبير من الأمراء الذين حصلوا على الخبرة، بتجريب جميع ألوان الحياة من أجل الوصول إلى معرفة أحوال العالم وأوضاعه، وصحيح ما قاله الفيلسوف أن «الحكمة الدنيوية» التي أكد أنها ملكة جميع الفضائل الخلقية، لأنها تتضمنهم جميعاً «نحصل عليها بالتجربة»، لكن هناك حاجة إلى وقت مديد للحصول على الخبرة في الشؤون الانسانية، وعلى هذا خلص إلى القول بأن ما من عقل صحيح يختار الشباب قادة، بسبب أنه لم يعدّهم حكماً، لأنهم لا يمكنهم الحصول على تجربة واسعة ومعرفة كبيرة في وقت قصير.

١٣٦ [82]: ولهذا إنه على الملك أن يدرك وأن يتأمل ميسول مستشاريه، نحو فرض الخدمة العسكرية، وكيف أنهم يقومون سراً بشطبها عن الذين يتوجب عليهم القيام بها، ويستخرجون ما ليس ضرورياً من خلال الـ *Levee en masse* وما فرض على الكنيسة، ومن آخرين، ما كان من المفترض استخراجهم من الذين عليهم واجب أداء الخدمة العسكرية، وعليه أن يبحث عن الذين أغنوا أنفسهم بوساطة هذه الاعفاءات، وعن الذين مع أنه متوجب عليهم القيام بحملات على

حسابهم، وأن يؤدوا خدمات عسكرية مقابل إقطاعياتهم، قاموا بحملات على حساب جيرانهم الذين بقيوا في مساكنهم، وعن السادة الذين دعواهم لاكمال تعداد مقاتليهم، وبعدما حصلوا على كثير من المال بهذه الطريقة، وبعدما أثروا أنفسهم من أثاث الفقراء، عادوا أخيراً إلى نسايتهم، ومن الطبيعي أن أمثال هؤلاء الناس يرغبون بأن يقوم الملك دوماً بحشد جيش كبير، وإذا ما أراد السيد الملك التحري بدقة حول صدق الأمور المتقدمة الذكر، سوف يجد أن هذه الممارسات قد طبقت.

ولا أريد أن يعرف بأني حرصت على القيام بمثل هذا التحري، بسبب أنني أعتقد أن ذلك إذا ما بات معروفاً فلن أنجو من التآمر ضد حياتي شخصياً، وأنه سوف يجري التأثير بشدة على أصدقائي ليكونوا ضدي، ومع هذا أردت عرض هذه القضايا وإثارتها، آخذاً بمذهب الفيلسوف الذي قال: «على الذين يؤمنون بالصدق أن يلتزموا بقوة وبقرب بالصدق، وليكن ذلك أكثر من الصداقة»، وكذلك بمبادئ الانسان العاقل اللذين هما مبدآن: أولهما أن لا يتكلم بشكل زائف عما يعرفه، والثاني أن يكون قادراً على كشف الذي يتكلم بشكل زائف»، وقد قرأنا في القانون: «أن تعاني من الذل في سبيل الصدق أفضل من نيل المنافع عن طريق النفاق».

ومن المؤكد أن جميع الذين يزيفون من أجل ضرر آخرين، يقترفون إثماً عظيماً، وهم أبناء الشيطان، وهم ينكرون الرب بأعمالهم، مثلما قال الرسول وأكد بأنهم مثل الذين يعترفون بأنهم يعرفون الرب، لكن ينكرونه بكل عمل شرير من أعمالهم، وعلى العكس يدعى جميع الذين يقولون الصدق، بأبناء الرب، وبما أنني محامي استئناف لقضايا الملك، ومرتبطة به باليمين، سوف أعد نفسي مقترفاً لذنوب عظيم، لدى سكوتي عن حقيقة ما تقدم بالنسبة للضرر الروحي والديني لمولاي وللعهد الذي لا يحصى من رعائياه، لأنه كما قال

الفيلسوف: «الشجاعة» التي هي فضيلة نبيلة، وتليق بشكل خاص بالأمراء، وبالفرسان هي: «الهجوم على الأوضاع المرعبة، حيث يتوفر التهديد بالموت، وذلك من أجل الصالح العام»، وقد جاء في الكتاب المقدس: «حينما يحفظ الرجل القوي بلاطه، تكون جميع الأشياء التي يملكها بسلام» [لوقا : ١١ / ٢١ - بتصرف].

١٣٧ : الذي وقع في الماضي لا يمكن إعادته، وذلك حسبها قال القانون: «ما أن تتقرر القضايا لا يمكن إعادة فتحها من أجل خاطر العدالة»، وينبغي على كل حال على السيد الملك أن يفهم الماضي وأن يتعلم منه، وعليه أن يتبنى سياسة جديدة حتى لا تتكرر المخالفات التي ورد ذكرها أعلاه في المستقبل، وعليه شخصياً، بناء على نصيحة الكنيسة وأعقل مستشاريه، أن يعد بتعويض رجال الدين والشعب، فبذلك يقنعهم بعدم متابعة إيقافهم تزويده بصلواتهم الحارة، وبذلك سيتمكن من إنهاء غضب الرب، حيث أننا نقرأ في القانون: «الخوف من الاثم دليل على قلب جيد، حتى حيث لا يوجد إثم»، وإذا ما ابتغى أمير الحصول على الحكمة وسعى من أجلها، في سبيل حب خالقه، وإذا ما كرس جميع طاقاته من أجل تقديم العدالة في وقتها، وإذا ما مارس الرقابة على قضائه من أجل البت بالقضايا بسرعة وبعدل، وبذلك يوفر برحة على رعاياه الأذى، والاضطرابات والنفقات، وقتها سوف يكون مثل سليمان، الذي تلقى جميع خيرات هذه الدنيا، مع هبة الحكمة الحقيقية والعدل، ولسوف يتحرك الناس نحو غفران جميع الأخطاء التي عانوا منها.

وسيكون مثل هذا الحل مرغوب به كثيراً، لأنه سيكون من غير الممكن التقدير تماماً مدى الضرر الذي عانى منه كل واحد من التجاوزات التي ورد ذكرها أعلاه، وأعتقد بشكل أكيد أن رجال الدين والناس بشكل عام سوف يكونون على استعداد للموافقة على إجراء

يقوم بموجبه السيد الملك — من أجل خلاصهم — بتكريس جميع ما استخرجه من رعاياه فوق واجباتهم، من أجل مصلحة الأرض المقدسة، وذلك ما يعادل جميع الأضرار التي ألحقها بهم بإتباعه آراء الآخرين، ومن السهل الحصول على موافقتهم بالدعوة إلى حمل الصليب، مع منح الغفران المطلق من السيد البابا.

١٣٨ : ويمكن أيضاً للسيد ملك إنكلترا، والأمراء الآخرين، والأعيان، والذين سوف يعبرون إلى الأرض المقدسة، أو يرسلون آخرين إليها، يمكنهم أن يسعوا من أجل تسوية مماثلة، وأن يضعوها قيد التنفيذ، وليكن ذلك مع جميع الذين لهم ديون عليهم لم تتم تسويتها، والتي هي غامضة، أو غير محددة لأي سبب آخر، ووفقاً لقواعد إيماننا، لا يمكن غفران ذنب من الذنوب ما لم تتم إعادة ما سلب، وإذا كان الذين سيذهبون للقتال من أجل استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، كانوا مثقلين وموسومين باحتفاظهم بممتلكات الآخرين، ولهذا واقعين في شرك ذنب عظيم، فإن ذنوبهم سوف تعيق أعمال الآخرين الجيدة.

ولهذا يتوجب على التائب الحقيقي والمعترف، أن يقوم قبل كل شيء بالانفاق هناك لصالح المدان لهم، وأن يسدد لهم كل ما يطلبون تسديده، وهذه الوسيلة يمكن لكل إنسان أن يمتلك الغفران، وبذلك سوف تكون جهود الجميع مؤثرة وقتلهم فعلاً، وسيتمكن وقتها إزاحة العدو القديم وطرده، وهو الذي يمسك بيديه بسجلات مثل هذه الآثام ويحتفظ بها، ويؤخر ويعيق محوها بقدر ما يمكنه، وذلك خشية أن تنجو الأرواح من مصائده، وإنني أعتقد بشكل جازم أن كل إنسان سوف يصغي إلى الوعظ المرتبط بالغفران البابوي سوف يغفر للسيد الملك كل ما يدعيه ضده.

وإذا ما وجد هناك أي واحد أراد أن يقلد فرعون بقسوة قلبه،

وسوف يرفض التخلي عن ادعاءاته، على أساس أنه يستحق تعويضاً أعظم، على القضاء الملكي المحلي الموجود لهذه الغاية، مع محاكم أخرى يجري تعيينها للقيام بهذه المهمة، عليها القيام بتسجيل أسماء المدعين، وبمطالبهم، وبالأسياب، وبذلك يمكن القيام بتعويضهم بقدر ما يكون ذلك مرضياً وعادلاً، وينبغي عدم إرغام أحد من الناس على التخلي عن دعواه من أجل تقديم العون إلى الأرض المقدسة.

١٣٩ [83]: كان جند المملكة الفرنسية حتى الآن، ومن المفترض استمرارهم بأن يكونوا، الحقيقة الدائمة في استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، ولا يمكن لهذه القوات البقاء هناك إذا — لا سمح الرب — ما مات الملك، مثلما حدث للقديس لويس، أو أن ينتقل إلى الرب أثناء الزحف، أو أن يعود إلى الوطن لسبب ما، ولهذا ارتأيت أنه سيكون من الأفضل، والمرغوب به، بقاء الملك وابنه البكر في الوطن، لامتلاك الوقت من أجل إدارة المملكة، ولانجاب الأولاد، ولتربيتهم وتدريبهم، ومن أجل تجهيز النجديات السنوية لإرسالها عبر البحر، لدى توفر الحاجة لذلك، وبسبب أعمال الاستيلاء التي تمت الإشارة إليها من قبل، وكثرة وتنوع واجباتها الادارية، سوف يكون مفيداً للسيد الملك ولابنه البقاء طويلاً في مملكتها، والموت فيها، بدلاً من الوفاة في أرض أجنبية، وينبغي عليها إنجاب أولادهما في المناطق المجاورة لباريس، من أجل أن يلدوا هناك، وهناك يتربوا، لأن من المعروف أن تلك المنطقة واقعة في ظل مؤثرات أجسام سماوية أكثر فائدة من أي مكان آخر، ولهذا السبب، حسبما لوحظ في الماضي، إن الرجال الذين تمّ الحمل بهم هناك وولدوا كذلك هناك هم أفضل تكويناً، واختصاصاً، وموهبة، من أي من الذين ولدوا في مناطق أخرى.

١٤٠ : وسوف تكون خطة جيدة أيضاً، عندما تتوفر الحاجة، أن يقوم الملك بتوجيه حملته، بقيادة الجيش من خلال شخص أخ آخر له،

أو من خلال ابن أصغر له، من أجل أن يتجنب إمكانية تقصير حياته، وذلك في ضوء الحوادث والأسباب التي سرّعت موت أجداده الثلاثة الأواخر (١)، فعلى مثل هذا الأمير عدم تعريض نفسه لمخاطر الصدف والحظوظ، ولا يمكنه القيام بحملة من دون كتلة كبيرة من العساكر، كما لا يمكنه تحريك قواته والزحف بسرعة مثل الآخرين، الذين يعملون أحياناً ليلاً ونهاراً، ثم إننا لا نمتلك في الأرض المقدسة، لا مدناً ولا حصوناً، ولا أماكن أخرى معدّة، حيث يمكن فيها الإلتقاء من أشعة الشمس المحرقة، وأشعة المريخ والنجوم الأخرى، والاحتفاء من المناخ المتقلب الذي لن يكون موثماً لهم البتة.

١٤١: وقد يعترض إنسان فيقول: «إنك بهذا تعيق تقدم الأرض المقدسة»، وله أجيب قائلاً: لن تكون هناك إعاقة، ما دام السيد الملك سيكون قادراً، وسوف يطلب إرسال جيش كبير مع أخوانه أو مع ابنه الثاني، وكأنه هو شخصياً سيذهب، ويمكنه أن يرتب استلام عدة قادة الإمرة أحدهم بعد الآخر، وذلك إذا مات أحدهم، أو أصيب بالعجز لسبب ما، فوقتها يمكن لآخر أن يتسلم الإمرة على الفور، وسيطيعه الجميع وكأنه الملك بذاته، ويبدو أنه لن تكون هناك مخاطرة ظاهرة إذا ما ذهب ملك إنكلترا، أو ملك آخر إلى هناك، خاصة الملوك الشيوخ الذين توقفوا إلى أبعد الحدود عن إنجاب الأولاد، وإذا ما مكث السيد ملك فرنسا في الوطن، يمكنه أن يتولى تجهيز فرق العساكر الموعودة، المكونة من كل من الرجالّة والفرسان، وتقديم السلاح أيضاً وفقاً لطلبات وتقديرات قادة جيشه، ومن الصعب على الملك الذي ولد في قصر فخم، ونشأ في مناخ معتدل، أن يتحمل مشاق الحملات،

١ — توفي لويس السابع بالاسهال في سنة ١٢٢٦، أثناء عودته من حملة صليبية ضد

الألبينيين Albigensians ، وتوفي لويس التاسع بالطاعون سنة ١٢٧٠، عندما كان محصوراً في معسكره في تونس، وسقط فيليب الثالث نتيجة إصابته بالحمى في سنة ١٢٨٥ أثناء حملته ضد بدرو الثالث صاحب أراغون.

في أراض متغيرة الأنواء، وبذلك يتعرض — من دون حماية كافية — إلى أشعة الشمس المباشرة، وإلى الأجسام الأخرى، ولم أذكر أنني قرأت عن أي أمير قام بحملات في بلدان أجنبية أو نائية غير شارلمان الذي قام بحملات شخصية لمدة مائة عام وأكثر، وبذلك لم يكن له نظير، فبعدما حصل على البراعة في القتال من خلال الخبرة الطويلة، تقدم كثيراً خلال الاثني عشر عاماً التي أمضاها امبراطوراً للامبراطورية الرومانية، وكان ذلك أكثر مما عمله خلال الأربعين سنة المتقدمة، وذلك حسبما تشهد على أفاعيله أكثر من منطقة.

١٤٢ : على الملك أن يقوم بشكل خاص باستعراض الماضي، واستباق الحاضر وتوقعات المستقبل، أي مستقبل أوضاع المملكة، ومعرفة أي السبل يرغب في اختياره، بين جميع السبل النافعة والمتوفرة لديه، من أجل الحملة إلى الأرض المقدسة، ومن أجل مملكته، وذلك وفقاً للخطة التي تم عرضها هنا، وينبغي استكمال هذه الخطة وتعديلها من قبل أكثر مستشاريه وأعيان دولته حكمة وعقلاً، وعليه أن ينتهز الفرصة، التي توفرت بسعادة له وبوساطة الخطة المتقدمة الذكر، وأن يناضل في سبيل سلام ثابت ودائم في جميع أرجاء الكومنولث المسيحي، وذلك وفق الطريقة المقترحة، أو وفق طريقة أخرى أفضل، وعليه القيام — بعد الحصول على موافقة البابا وجميع الأمراء الآخرين — التلطف في السعي الحثيث في أن تكون الارادة الطيبة وسلطة الكومنولث الكاثوليك المطيعين للسيد البابا، موجهة نحو الاسترداد السعيد للأرض المقدسة والحفاظ عليها، وكذلك الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية، وأن يتقرر الوصول إلى الهدف المنشود بكل سرعة تحت قيادة الرب قائد الجيوش كلها.